الفصل الأول

ما تتميز به حياة الخلاء

١ – الصحة والقوة :

قوة الأمم إنما تكمن فى قوة سواعد أبنائها . وما من أمة نهضت وسادت إلاّ على أكتاف شبابها المؤمن القوى . ولذلك كان من أقدس واجباتنا تجاه الوطن هو إعداد المواطن صحيح الجسم قوى البنية القادر على العمل والإنتاج ، النافع لأهله ومجتمعه ، المساعد للناس فى جميع الظروف .

وهناك ارتباط وثيق بين النمو العضلى والنمو العقلى والخلقى . إذ لا خير فى نمو أحدها دون الآخر ، ولذا كان ضروريًّا أن تتوازن أنواع التدريب المختلفة بحيث يتحقق هذا الارتباط . فكما أن العقل السليم فى الجسم السليم فإن الجسم السليم فى العقل السليم .

إن أكثر الناس صحة وقوة أولئك الذين ينعمون بالهواء الطلق وممارسة الحركات الرياضية أو على الأقل الحركة الدائبة التى تتخلل حياتهم اليومية . والهواء الطلق مشاع للجميع وليس وقفاً على فئة دون فئة . كما أن الحركة الرياضية التى تضفى على الفرد صحة وقوة ليست بالأمر العسير المنال فهى فى متناول يد كل من يطلبها ويسعى إليها . الصحة والقوة تعنى الشباب ، والعلة والضعف تعنى الشيخوخة ، ولكن ليس كل شاب صحيح البدن قوى البنية . كما أن ليس كل كهل عليل البدن ضعيف البنية . إذ أن ذلك كله إنما يتوقف على مدى ممارسة الفرد للحياة وطريقة معالجته لأمورها . فبينما نجد الكثير من شبابنا يقضى معظم أيامه فى استرخاء وتكاسل لا هم له إلا إرضاء شهواته ونزعاته غير مستشعر بالمسئولية نحو نفسه وبدنه وأمته . نجد الكهل مثالاً للنشاط والحركة فلا يدع فرصة للترويح فى الخلاء إلاّ انتهزها ولا مناسبة لممارسة أى نوع من الرياضة إلا اقتنصها متمثلا الحكمة التى تقول « الصحة تاج فوق رءوس الأصحاء لا يراه إلاّ المرضى » .

إن مشكلة الشباب إنّما تكمن فى هذه النقطة بالذات ، وحل هذه المشكلة لن يتأتى إلاّ بتوليد الدافع الذاتى لديه ليدفع به إلى طلب الهواء الطلق فى أماكنه الطبيعية .

والحركة الكشفيّة بما تتضمنه برامجها فى مختلف مراحلها لهى خير وسيلة لبعث هذا الدافع الذاتى .

والخلاء هو ملعب الطبيعة الكبير الذى لا حدود له فهو يتيح للفرد فرصة التعبير عن ميوله الطبيعية فى حركة منطلقة مرحة بلا قيود مشاركاً زملاءه وأقرانه فى ألعابهم المختلفة وأنشطتهم المتعددة فيكتسب الكثير من المهارات فضلاً عن إشباع رغباته فى المغامرة .

وفى حياة الخلاء يمكن تدريب الفتى عضليًّا من خلال تدريباتها بطريق غير مباشر ودون أن يفطن هو إلى ذلك لدرجة أنه فى غمرة سعادته وفرط سروره لا يشعر بالتعب أو يحس باللل رغم أدائه لها لفترات طويلة بعكس ما قد يستشعره إذا ما مارس التدريبات البدنية العادية بطريقة جافة إذ أنه غالباً ما يؤديها أداء آليًّا مظهريًّا . بل إنه قد يعتريه اللل والفتور فى كثير من الأحوال فيمتنع عنها .

والقوة اسم مرادف للصحة . فصحيح البدن يكون فى الغالب قويًّا . وعلى ذلك تكون القوة توأم الصحة ، إلاّ أن الصحة فى مفهومها أكثر اتساعاً وأشد عمقاً فهى لا تعنى صحة البدن فحسب ولكنها تعنى أموراً أخرى كثيرة ترتبط بها أشد الارتباط . أهمها مثلاً الصحة النفسية . فالتفاؤل والمرح والطمأنينة من الأمور التى تتيح فرصة أكبر لصحة جيدة .

٢ – التربيـــــة

بنظرة متفحصة لمجتمعنا اليوم . نجد أنه مجتمع سائر فى غيه آخذ فى الابتعاد عن إنسانيته رويداً رويدًا ، مستحث خطاه نحو حيوانيته . مجتمع كادت أن تنغمس حضارته حتى النهاية فى المادية ، وكادت أن تنمحى فيه القيم الروحية والمثل العليا .

إن هذا الاتجاه الخطير الذى يواجه شبابنا بوجه خاص لابد وأن يعصف بالإنسانية فى مجتمعاتنا ذات يوم، ولابد وأن يضع البشرية أمام مصير مظلم لا يصيص فيه لنور .

ولهذا كان لزاماً أن تتضافر الجهود وتتحد القوى لمواجهة هذا الخطر الداهم . ولإيجاد حل سريع سليم لإرساء دعائم الاستقرار ، ولنصرة عوامل الخير على عوامل الشر.

ولما كان شباب الأمة هو شريان حياتها وقلبها النابض وعنوان نهضتها وتقدمها وأملها المشرق لغدها كان لزامًا أن يحظى من الدولة بكل رعاية وأن يوليه المسئولون جل اهتمامهم .

إن هذه البراعم الفتية وهذا الشباب الغض لفى أمس الحاجة إلى تربية صحيحة وتنشئة سليمة وعناية تامة ورعاية حكيمة يستظل بظلها ويستنير برأيها ويهتدى بإرشادها ، بحيث تملأ عليه فراغه بما يشبع رغباته وبما يعود عليه وعلى مجتمعه وأمته بالفائدة . فالخطر الذى تعانيه البشرية اليوم إنّما يكمن فى ضعف التربية حيال تيار الحضارة الجارف الذى لم يعد يكترث للقيم ولا يقيم وزناً للعرف والتقاليد ، وهنا يظهر دور حركة الكشف جليًّا واضحاً ، وهنا يبرز ما لحياة الخلاء من أثر عميق فى نفوس الشباب فالمخيمات هى خير وسيلة وأنجح سبيل لاكتمال شخصية الفتى وازدهار صفاته وبلورة مواهبه حيث فيها تتفاعل طاقاته وقدراته وإمكانياته مع البيئة ومع الطبيعة وتمتزج بمشاكل الحياة وصعابها وتنفعل بمختلف الأحاسيس والمشاعر ، وبهذا تتنبه حواسه ويزيد اهتمامه ويتسع أفقه وتنمو مداركه وتشتد حيويته ويقوى نشاطه ويتفتح ذهنه .

وحياة الخلاء تحرر الفتى من اضطراباته الفكرية وانحرافاته الخلقية ، وتقترب به من كمال النضج ، وتنحو به نحو الاتزان ، وتكسبه الكثير من

السلوك الإنسانى والاجتماعى ، فيصبح قادراً على التفاعل مع الغير فى سهولة ويسر ومستطيعًا أن يتواءم مع ما يحيط به من مشاعر مختلفة متباينة .

٣ - الموهبة

لكل فرد فى هذه الحياة ميزة يتميز بها عن غيره ، وموهبة كامنة فى أغواره وأعماقه ينفرد بها عن سواه ، فإذا أمكن اكتشافها وتعهدها بالرعاية والصقل انطلقت من عقالها كالمارد الجبار فأثمرت وأينعت وآتت أكلها ، وإلاّ ظلت معطلة حبيسة كالمعدن المدفون فى باطن الأرض لا قيمة له .

وتعد حياة الخلاء من أهم عوامل اكتشاف مثل هذه الميزات وتلك المواهب ، ومن أقوى وسائل إبراز الكفاءات وتقوية الإمكانيات .

وللقائد هنا دوره الفعال حيث يستطيع ببصره الثاقب وملاحظته القوية وخبرته وحنكته أن يتعرف على مواطن القوة فيتعهدها ويرعاها بالتوجيه والإرشاد ، وأن يستقصى المواهب العقلية ويعمل على تنميتها وصقلها .

٤ - البهجة والمرح

يتسم الشباب باللهو والمرح ، ويتصف بالبهجة والحبور .

ومما لا شك فيه أن من أهم عوامل تحقيق النجاح، ومفتاح أبواب الحياة الباسمة ، والسبيل إلى تحقيق السعادة الداخلية إنّما يكمن فى البهجة والمرح، فى البشر والتفاؤل .

والسعادة ليست شيئاً سلبيًّا يهبط على المرء من السماء وإنّما هى شىء إيجابى يناله المرء بما حباه الله من عقل وغرائز ، وهى ليست قاصرة على الأغنياء دون الفقراء ، أو على الأقوياء دون الضعفاء ، ولكنها فى تناول كل يد وفى مقدور كل إنسان إذا ما اتخذ من الابتسامة وسعة الصدر شعاراً . وإذا كان الحب هو المسيطر على جلّ أفكاره وأعماله ، وإذا ما كان حسن النية متوافراً فى هذه الأعمال .

ليست السعادة هى نشوة النصر فى ميدان الرياضة ، أو فرحة الفوز فى تحقيق مأرب، فإن هذه وتلك ما هى إلا نشوة وفرحة وقتية لا تدوم ، وإنّما السعادة هى شيء آخر يلازم الفرد فى حله وترحاله يملأ حياته وقلبه وكل ما يحيط به ، هى الشعور بالرضا بعد مجهود أمين صادق ، هى أن يكون المرء نافعاً ومعيناً .

لا شك أن راحة المرء فى حياته الداخلية ، وطمأنينته وأمنه وأمانه لِمَنْ أقوى عوامل نجاحه فى حياته العامة ، وإلاّ فكيف ينتج وكيف ينجح من غاب عنه المرح وسيطر عليه التشاؤم واكتنفت حياته الهموم والأكدار .

إن حياة الخلاء هى التفاؤل الذى نحارب به التشاؤم ، وهى البسمة التى نقضى بها على العبوس ، وهى السعادة التى نحطم بها الهموم ، وهى الباعث الأول للإنتاج الوفير ، وهى العلاج الناجع لحل المشاكل ، وهى المجدّد للنشاط والحيوية وهى الذيب للشدائد والمصاعب فالطبيعة بما فيها من جمال خلاّب ، وما تزدان به من أزهار وأشجار وروعة شروق الشمس وغروبها ، وفتنة الليل ونجومه وأقماره لتجعل البشر يفيض على الوجوه ، والابتسامة تعلو الثغور ، والغبطة والسرور تملأ القلوب .

٥ – الحيوية والنشاط

نجاح المرء فى معترك الحياة يستلزم منه الصبر على العمل والقدرة على الكفاح والنضال، ويستوجب الرغبة الصادقة فى تذليل الصعاب والشجاعة فى مواجهة الحقائق، والشباب ولاشك هو الأجدر بالاضطلاع بكل هذه الصفات فهو يتميز بطاقة جبارة للحركة، وهو مطبوع على حب المغامرة والنضال ويمتاز بالحيوية الفياضة والنشاط الدائب .

كل هذه المميزات والصفات المحبوبة المرغوبة تصبح غير ذات موضوع ولا خير فيها ولا جدوى منها إذا ما ظلت حبيسة مكبوتة . أما إذا ما استنفدت

فيما هو خير ووجّهت الوجهة الصحيحة لعادت بالنفع العميم على البشرية جمعاء .

وحياة الخلاء هى المنطلق لهذه الطاقات، وهى المتنفس لهذه الحيوية لما فيها من مناهج وتدريبات متدرجة متطورة تتمشى مع مختلف مراحل السن وتتواءم بأساليبها النطقية مع الظروف والاحتياجات.

إنّها الحياة الكفيلة بتشكيل الرجل الصلب العود، القوى الشكيمة، الحديدى الإرادة ، الماضى العزيمة ، إنها الحياة التى يتمرس فيها الفتى على إخضاع صعوبات الطبيعة ومشاقها لتلائم رغباته وتوائم احتياجاته ، إنّها الحياة التى يكافح فيها لتحقيق أهداف محددة مستهيناً بكل صعب ، مستعذبًا كل تعب ، مستسيغًا كل نصب لا تزعجه المشاكل ولا ترهقه المسئوليات .

٦ – التفاعل والإيجابية

« المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه » ، و « الناس بخير ما تعاونوا » والمجتمع المثالى الذى يحقق حياة اجتماعية ناجحة ما كان أفراده يدينهم التعاون ورائدهم التفاهم .

طريق الحياة فى سبيل لقمة العيش وعر وشاق وملئ بالأشواك ، والصراع فى سبيل توفير الاحتياجات الضرورية عسير مرير ، والإنسان فى مثل هذا الخضم الهائل يعانى الكثير ، بل وقد يعجز عن مجابهة كل ما يصادفه ويفشل فى التغلب عليه ما لم تتضافر معه جهود أفراد بيئته ومجتمعه .

وحياة الخلاء تلعب هنا دوراً هامًا فهى تمحو صفة الفردية والأنانية من الفرد وتغرس فيه روح الأخوة والتعاون وتزيل صفة الحيوانية وتضفى عليه الصفة الإنسانية ، وتعده لأن يكون لبنة صالحة فى بناء المجتمع لا يبخل بجهد فى سبيل الغير ولا يضن بمساعدة عند الحاجة ، فهى بذلك تخلق منه إنساناً اجتماعيًا بكل ما فى هذه الكلمة من معان ، وتشكل منه مواطناً متفاعلاً إيجابيًا

يدلى بدلوه فى مجتمعه وبيئته متحملاً مسئوليات الحياة وواجباتها ، صانعة منه رجل خير ونجدة مستعدًا دائماً للخدمة وصنع المعروف فى كل وقت وتحت أية ظروف .

٧ - حسن التصرف

الحياة مليئة بالمشاكل التى لا تخلو منها حياة إنسان فى هذا الوجود ، وهذه هى سنة الحياة وهذه هى حكمة الله فى خلقه ، وتختلف هذه المشاكل وتتباين فى شخص عنه فى الآخر إلاّ إنّها فى النهاية تعتبر مشاكل تحتاج إلى حل ، وسلامة الحلول وسرعتها تختلف باختلاف قدرات المرء وطاقاته وحسن تصرفه ، فعند حدوث مشكلة يهب العقل ويتفتح الذهن وينشط التفكير وتتسابق كل الجوارح إلى نصرة المرء ومساعدته للخروج من هذه المشكلة والتغلب عليها .

ولما كان الشباب هو الطاقة المحركة لجميع مرافق الأمة ، ولما كان هو معقد آمالها وعدتها فى كل وقت وتحت جميع الظروف ، ولما كانت لتصرفاته فيما يصادفه من مشاكل أثرها على المجتمع ، كان لزاماً أن يعد هذا الشاب إعداداً متكاملاً يستطيع معه أن يواجه مشاكل الحياة برحابة صدر وبشاشة وجه ورجاحة عقل فلا يجزع للملمات ولا يهلع أمام الصعاب .

والمشاكل يجب أن تحلّ بحلول سليمة إذ أن الحلول المرتجلة تزيد من تعقيدها وتفاقمها وأخطارها ، واننا لنجد فى حياة الخلاء ما نصبو إليه فهى خير مدرب وأقوى معين فى هذا المضمار فهى تعمل على تحريك الذكاء الاجتماعى والتعامل الإنسانى فى نفوس الشباب، وتدربهم على ممارسة الحياة بأساليب إيجابية بناءة، وتوفر لهم أصول المعرفة وتفهم الحياة على حقيقتها دون زيف أو رياء وتزودهم بأسرار الكون، وتمدهم بالكثير من تجارب الحياة ، وبذلك يستطيع الفرد أن يحسن التصرف فى مختلف الظروف وشتى الملابسات

بأسلوب تربوى إيجابى يجعله قادراً على حل مشاكله واجتياز ما يعترضه من صعاب فى يسر وسهولة ولا سيما فى أدق مراحل حياته التى يتعرض فيها لتيار الانحرافات الجارف .

معالجة المشاكل تتطلب خبرة وحنكة يمكن اكتسابها بالممارسة وتستوجب الاستزادة من المعلومات والاستفادة من التجارب ، والواجهة الصريحة للواقع .

٨ - العلاقات الإنسانية

علاقة المرء بغيره هى عمل سلوكى يتوقف عليه توطيد العلاقات بين الأفراد وتوثيق أواصر الود وتدعيم التعاون، والعلاقات الإنسانية هى حجر الزاوية فى بناء المجتمع السليم، والدعامة الأساسية لتماسكه وبقائه .

وعلى هذا فإنه يكون من المتعذر أن يكتب النجاح لأى عمل أو مشروع ما لم يحظ بتأييد المجتمع له بوجه عام وتأييد الفئة التى أقيم من أجلها بوجه خاص .

وتعتمد العلاقات الإنسانية على قواعد أربع :

(أ) **التفاعل والاندماج** : تفاعل المرء مع بيئته واندماجه فى مجتمعه واختلاطه بالناس والتجاوب مع مشاعرهم وأحاسيسهم له أطيب الأثر فى النفس ، بل ويعتبر من أهم عوامل توثيق عرى المحبة والأخوة.

(ب) **صدق المعلومات** : وهذا يعنى توصيل ما يراد توصيله للمجموع فى صدق وإخلاص ، وفى صراحة ووضوح ، وفى بساطة بعيدة عن التعقيد باتباع أقصر الطرق وأوضح السبل .

(جـ) **القدوة** : يحظى المرء بالاحترام وينال التقدير والاهتمام عندما يكون قدوة صالحة لما يدعو إليه وأسْوَة حسنة لما ينادى به فلا يعمل ما ينهى عنه ولا يقول ما لا ينفذه ﴿ يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتاً

عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾[1] وعندئذ فإنه إذا ما تكلم وجد المنصت المستمع ، وإذا ما أشار وجد المستجيب الملبى ، وإذا ما اقترح وجد المقتدى برأيه وفكره .

(د) التفهم : لما كانت كل بيئة تختلف عن الأخرى من حيث بعض التقاليد والعادات ، فإنه يكون على مقدار تفهم هذه العادات وتلك التقاليد تتوقف جودة إقامة العلاقات فبهذا التفهم يستطيع المرء أن يسلك أقوم الطرق للاتصال وأنجع السبل لاكتساب الثقة .

وهنا يتجلى بوضوح دور حياة الخلاء فى تنمية هذه الصفات وإذكاء هذه الروح فهى تعتبر بحق ميدانًا فسيحًا لمختلف التدريبات وحقلاً متسعًا لشتى التجارب ففيها يتصل الفتى بجماهير مختلفة متباينة وهنا تتضح أمامه وتتبلور أهمية استخدام الوسيلة المناسبة لهذا الاتصال طبقاً لظروف كل بيئة ، وهنا يؤمن بأن طريقة العرض للجمهور بصدق وإخلاص ولباقة من ألزم واجبات إقامة علاقات إنسانية سليمة ، وهنا يرسخ فى ذهنه أن بناء المجتمع السليم وتقدمه وتطوره يتوقف على مدى ارتباط الفرد بالبيئة ومدى تعاون الجميع وتفاعلهم .

٩ - الروحانيـــة

لا يستطيع أحد أن ينكر أن الناحية الروحية والتعاليم السماوية هى قوام الحياة الآمنة المطمئنة السعيدة ، وأنه باتباعها يمكن الحصول على مجتمع تسوده الفضيلة وتشيع فيه القيم الخلقية.

يسود العالم الآن تيار جارف من المادية والإباحية والإلحاد ويكاد يجتاح كل معالم الفضائل والقيم ، وما لم يواجه هذا التيار بقوة وحزم لإيقاف زحفه بل والقضاء عليه فلا يدرى إلاّ الله مدى ما تصل إليه الحال .

وليس هناك كالدين حائلاً ، فتعاليم السماء هى الحصن المنيع والدرع الواقى ، بل هى السلاح البتار الذى لا يخيب ، وحياة الخلاء تلعب دوراً كبيراً

---

(١) الآيتان من سورة الصف ٢ ، ٣ .

فى تقوية الناحية الروحية إذ أن فى خـروج الشباب إلى الطبيعة والإقامة فى أحضانها أياماً بعيداً عن زخرف المدينة وضجيجها ، بعيداً عن دخان مصانعها وآلاتها ليدفع به إلى التفكير العميق فى عظمة خالق هذا الكون وقدرته ، وسوف يقوده هذا التفكير إلى قوة إيمانه بالله وبذلك تلين جوارحه وتصفو روحه وتسمو نفسه وتثبت عقيدته ، فالطبيعة هى المظهر المباشر لقدرة الخالق وعظمته .

فلو أحسن التوجيه لوجد الشباب فى الدين معنى الحياة والغرض منها ، ولوجد فيه مثله الأعلى الذى يجب أن يتمثل به ويترسم خطاه ولوجد فيه الحصانة من الزلل والأمان من التردى فى المهالك ، فليس كالدين موقظاً للضمير منيراً للعقل ، مُزيداً من صفاء القلب ، وإلا فكيف يكون الحال إذا ما تنكب الشباب أتباع تعاليم دينه وكيف نرجو منه العمل المنتج المثمر إذا انقطعت صلته بالدين فأصبح ولا رادع يردعه ولا ضمير يؤنبه ويزجره ، إن صلاح الشباب لا يكفى فيه الوعظ والإرشاد ولا الدرس والتلقين ، ولكن لابد إلى جانب ذلك من القدوة الطيبة والأسوة الحسنة ليتأسى بها ويسير على نهجها ومنوالها ، وفى حياة الخلاء يستطيع القائد بحسن تصرفه وشدة حرصه وقوة إيمانه وتمسكه بالقيم الخلقية أن يحقق هذه الناحية .

١٠ – القيـــــادة

لو تطلعنا إلى أية جماعة ناجحة أو إلى أى مجتمع مترابط متماسك لوجدنا أن الركيزة الأولى لهذا النجاح وهذا الترابط إنّما تكمن فى وجود القائد المحنك الخبير . فهو الذى يدير دفة العمل بدقة وذكاء ، وهو الذى تقع على كاهله كافة الأعباء والمسئوليات ، وهو الذى يتعرف على مواطن الضعف فيعمل على القضاء عليها ، ويكتشف نقاط القوة فيعمل على تنميتها وصقلها ، وهو العقل المفكر ، والقلب الكبير الرحيم ، والصدر الرحب الفسيح هو القوى فى غير قسوة ، الرحيم فى غير ضعف – هو الذى يعمل بين الجميع بلا تفرقة

ولا تمييز فالكل أمامه سواسية ، يكافئ المصيب ويشجعه ويقوم الخطئ فى هوادة وبلا تجريح ، هو القدوة الطيبة والأسوة الحسنة .

حقا ما أحوجنا إلى قادة هذا نهجهم وهذه أخلاقهم وتلك صفاتهم .

وحياة الخلاء هى البوتقة التى تصهر فيها النفوس وتصاغ فيها القلوب وتشكل فيها الرجال المؤمنون الأقوياء، المؤمنون بربهم فيأتمرون بأوامره وينتهون عن نواهيه ، المؤمنون بوطنهم فيبذلون فى سبيله كل مرتخص وغال ، المؤمنون بأنفسهم وبقدرتها على صنع المعجزات إذا ما عملت وأخلصت فيما تعمل ، حياة الخلاء هى خير مدرسة لخلق القادة ذوى الخبرة والكفاءة فهى تلقن الفتى أصول القيادة الحقيقية وتعده لكى يكون كفؤاً لتحمل المسئولية كاملة .